مصير دول المغرب في ظل الوفاق الأوروبي في مؤتمر فينا
من خلال مذكرة سيدني سميث 1814/08/31
"دراسة تحليلية للوثيقة من خلال الكتابات المحلية والأوروبية"

أ.جخدان بوعبدالله
دكتورالي / جامعة الجيلالي اليابس/ سيدي بلعباس

الملخص:

إن قضية القرصنة بالنسبة لدول الشمال الافريقي عامة والجزائر خاصة باعتبار هذه الأخيرة القوة الفاعلة في البحر المتوسط ،فانعقاد مؤتمر فينا كان نتيجة التقلبات التي عصفت بأوروبا من جراء الحروب النابليونية (نابليون) وكانت نهايتها بمحاكمة هذا الأخير في مؤتمر،ولإصلاح ما افسدته الثورة الفرنسية عقد مؤتمر فينا مابين (1814-1815)،وفي هذا مؤتمر تم نظر في قضايا القارة الأوروبية ثم سلط الضوء على الأحداث الثانوية والتي من بينها إدراج قضية القرصنة بالنسبة لدول شمال افريقيا عامة والجزائر خاصة ضمن جدول أعمال المؤتمر ما انجر عنه من تنافس دولي على الجزائر .

Abstract:

The issue of piracy for the North African countries in general and Algeria, especially as the active force at the time, the Vienna Conference was the result of the fluctuations that hit Europe in the Napoleonic wars and the end of the trial of the latter and the reform of what the French Revolution spoiled the Vienna Conference 1814-1815, In the issues of the European continent and then highlighted the secondary events, which included the issue of piracy for the North African countries in general and Algeria, especially within the agenda of the Conference, which resulted in international competition.

الكلمات الفتاحية: المؤتمرون/ البحر الأبيض المتوسط/القرصنة المغربي/ تنافس الأوروبي على دول المغرب / مذكرة سيدني سميث.

1_أهمية البحر الأبيض المتوسط:

البحر الأبيض المتوسط دراسة تعني،قبل أي شيء آخر،بدراسة مدى التعقيد للعديد من التفاعلات الموجودة في المنطقة التي تشكل العلاقات بين الضفتين،وبين البلدان وكذا الثقافات والأديان والاقتصاديات والمجتمعات هي شبكة غنية من التبعية المتبادلة[1] ،فحينما نتابع تطورات الأحداث التي عرفها العالم في القرن الثامن عشر و النصف الأول من القرن التاسع عشر نجد عالمين متصارعين منذ عصور ما قبل النهضة الأوروبية هما العالم الغربي و العالم الإسلامي،فالبحر الأبيض هو مستقر هذا الصراع لأنه عالم متجاور شهد حضارات التاريخ نذكر منها الفرعونية و الفينيقية و اليونانية و الرومانية و الإسلامية و المسيحية [2]ومن جهة أخرى يعتبر بحيرة قامت على شواطئها الدويلات الصغيرة ،وكذلك دول و الإمبراطوريات الكبيرة،و كان الصراع بينهما ذو أبعاد دينية،اقتصادية ،عسكرية ،حضارية،فالإمبراطورية العثمانية تمثل الشرق فهي إذا مركز الخلافة الإسلامية ومهابة الجانب ومؤثرة في السياسة الدولية و في التجارة العالمية،و بَحْريتها مُسيطرة على أجزاء من أوروبا الشرقية؛فالصراع الديني تبلور في شكل صراع بحري مما عرف بالقرصنة لدى لأوربيين [3] انطلاقا من إسبانيا مع البحرية الإسلامية ليصبح عمل جهادي لدفاع عن الإسلام،و يرجع الصراع للحاجة الماسة للمواد الأولية نتيجة التطور الصناعي لدول أوروبا لتصبح مطامع سياسية فيما بعد و احتلال شواطئ الأبيضية و الأطلسية و عانى منها دول المغرب،و إضافة إلى جانب الديني اعتبر شار لكان أن له حق الكامل في حماية المسيحيين في حوض المتوسط،و حتى بين بعض الدول الأوروبية،وهكذا ظهر التنافس الدولي و الخلاف الدائم بين فرنسا و انجلترا نتيجة تركيزهما على مناطق السيطرة و النفوذ في البحر الابيض المتوسط[4].

2_موقف الجزائر من تنافس الدولي :

قامت الجزائر بدور حاسم في مواجهة التطورات التي طرأت على ساحة عَالَمِ البحر المتوسط فأصبح أسطولها يشن غارات على المدن الأوربية الجنوبية ليمتد إلى المحيط الأطلسي،وكنتيجة لدوره الفعال والدؤوب في مواجهة الغزاة المسيحيون،أدى إلى كثرت الغارات الأوروبية على السواحل الجزائرية بحجة القضاء على القرصنة التي اتهمت بها الجزائر بدرجة الأولى، و ما هي في الواقع دفاع عن نفسها فالقرصنة آنذاك عمت أرجاء البحر المتوسط و مارستها جميع الدول وخاصة الأوربية على نطاق واسع فبانتقال القرصنة من المحيط الأطلسي إلى البحر المتوسط في مطلع القرن السابع عشر بواسطة مغامرون مسيحيون،و شهد دُولٌ أوروبية قوية آنذاك: (فرنسا،انجلترا وهولندا)؛وليخلفان الإمبراطوريتين القديمتين (اسبانيا والبرتغال)،فعرفت شركاتها نجاحا لاستغلالها الثروات الإفريقية و ايضا ثروات جزر الهند الشرقية مما أدى بها للإحتكار التجارة العالمية وتحطيم إحتكار البرتغالي [5] وموازاة مع ظهور روح القوميات في القرنين السادس عشر و السابع عشر، بدأ ضعف الظاهر في الدولة العثمانية خاصة بعد عصر سليمان القانوني بسب ب استمرار الحروب التي أدت إلى استنزاف موارد الدولة و خيراتها فضعفت امكانياتها الاقتصادية،خاصة وأن الدولة العثمانية اهتمت فقط بالجانب العسكري و تحصيل الضريبي لمواصلة الجهاد وأهملت التنمية الاقتصادية فانعكست سلبا على الإيالات المغرب الجزائر و تونس و طرابلس الغرب لانصراف القادة العسكريين في الاستمرار نشاطهم البحري دون تفكير في تطوير المجتمع من الجانب الاقتصادي خاصة[6] ،

وبالرغم من التطورات الحاصلة في البحر الابيض المتوسط ،فالدول الأوروبية و لاسيما فرنسا وانجلترا وهولندا واصلوا نشاطهم في البحر الأبيض المتوسط فالسواحل شمال إفريقي وجدت حماية من طرف أسطول البحري الجزائري ضد الخطر الإسباني.

حدث تغير في العلاقات الدولية في أواخر القرن السادس عشر و السابع عشر بسبب التقارب بين فرنسا و انجلترا و هولندا التي وقعت معاهدة السلام مع اسبانيا عدوة الجزائر فكان له انعكاسات مباشرة على الجزائر وعلاقاتها بحلفائها،فتغيرت من صداقة إلى عداء و فقدت حصانة المخولة لتلك الدول من طرف الجزائر[7]، مما أدى إلى تصادم و الصراع بين أسطول الجزائري ودول الأوروبية في عرض البحر المتوسط وتعرضت مدن والدول المطلة على البحر المتوسط للنهب و السلب و تعرض سكانها للأسر [8] ،فالإستراتيجية انجلترا في شمال إفريقيا هي حصول على امتيازات حيوية لضمان اقتناء التسهيلات لتلبية حاجياتها و منع الأعداء الأوروبيين من الاستفادة منها،وهي مدركة لدور الجزائر و المغرب الأقصى في القضايا الأوروبية،بينما إستراتيجية فرنسا إيجاد قاعدة بحرية دائمة في سواحل شمال إفريقيا مجسدة في سياسة لويس الرابع عشر 1663- 1715م الذي جسده في 1664م بحملة عسكرية بقيادة بوفور [9] على جيجل و الذي يدخل في إطار التنافس الانجليزي الفرنسي حول نفوذ في البحر المتوسط خاصة بعد أن أصبحت الطنجة في قبضة الإنجليز 1662م وتوج بزواج ولي عهد انجلترا بالأميرة البرتغال [10]، و باستمرار الحرب والتنافس على مناطق النفوذ في البحر المتوسط تمكن انجليز في مطلع القرن الثامن عشر من الاستيلاء على جبل طارق في 1704م و قاموا به قاعدة عسكرية و تم نفوذهم للبحر بعد استيلاء على "ميناء ماهون "و أصبحت السواحل الإيطالية تحت مراقبتهم[11]. وهنا ظهر كسب وِدِ الجزائر من طرف فرنسا،هولندا وانجلترا،في الوقت كانت فرنسا تواجه خطر انجليزي هولندي و كانت "شركة هيلي"الجزائرية تصدر حبوب لمرسيليا،ولو هافر تصدر 200 ألف قنطار من حبوب سنويا ،وقد أعطيت أولوية للقنصل انجليزي لحسن تفاوضه في حين أن أقاليم فرنسا كانت تعاني المجاعة ما بين سنوات 1710-1701م،لذا كتب القنصل الفرنسي كليرونبول Clairambault لوزير البحرية الفرنسي "ليقوم بتعكير صَفْوَ العلاقات الجزائرية الانجليزية ودعاه الى أن يدفع هدايا كبيرة مما يؤدي بإنجلترا من مضاعفة هداياهم و المستفيد الوحيد هو "داي الجزائر"، وفي تلك الفترة تم إطلاق أسرى الجزائريين وأرسل له ملك جوهرة من الماس، فتقارب فرنسي الجزائري أزعج انجلترا و يعود أصل تقارب هو إقتراب موعد انعقاد مؤتمر "أوتراخت utrecht" 1713- 1715م الذي ينهي الحرب الوراثة الإسبانية الذي يمنح قاعدة في جبل طارق و مينورقة لإنجلترا وهذا ما أدى بفرنسا لتقليل من المنافسة و التأثير الإنجليزي في البحر المتوسط[12]، و عندما فقدت الدول الأوروبية نفوذها في القارة الأمريكية فوجهت أنظارها إلى البحر المتوسط وشجعها ضعف البحرية الجزائرية فألقت انجلترا بثقلها في البحر الابيض المتوسط لأخذ مواقع فرنسا فيه ليتطور إلى صراع بينهما و فرضت انجلترا حصارا على فرنسا،لتدخل الولايات المتحدة الأمريكية حلبة الصراع في البحر المتوسط لتزود الموانئ الفرنسية بالمواد الغذائية و لمنع ذلك رأت انجلترا إبرام الصلح بين الجزائر و البرتغال و تمت الهدنة عام 1793م لتعرقل عملية تمويل،فرأت فرنسا إرسال مبعوثين إلى تونس و الجزائر لإقناعهم بالتفاوض مع الولايات المتحدة الأمريكية في شهر افريل 1794م و لكن الحرب بين الجزائر و البرتغال استأنفت قبل ذلك التاريخ،و يعني بذلك عودة الولايات المتحدة الأمريكية إلى مواصلة نشاطها و أدى إلى تراجع فرنسا عن إرسال مبعوثيها لكن تخوف فرنسا من الولايات المتحدة الأمريكية من منافستها في البحر المتوسط لأن الأخيرة سعت لإرسال مبعوثيها لإبرام معاهدات مع دول المغربية لتمد نشاطها في البحر المتوسط ثم إلى سوريا[13]، وعلى الرغم من العراقيل الفرنسية تمكنت من إبرام معاهدة مع الجزائر في سبتمبر 1795 وهكذا عززت نشاطها في البحر وأصبحت طرفا في التنافس الدولي[14].

3_ مؤتمرون وموقفهم من القرصنة المغاربية في الحوض المتوسطي:

أ-المؤتمرون:

تمثلت كل الدول الأوروبية في فينا،حتى بلغ عدد المؤتمرين ثلاثمائة دبلوماسيا،بمن فيهم ممثل عن فرنسا هو تاليران (Talleyrand)، ومثل انجلترا ويللينغتون (Wellington)،ثم كاسيلريغ (Castlereagh)،وروسيا همبولت وهاردنبرغ (Humboldt et Hardenberg)،وبروسيا نيسلرود (Nesslrode)، أما قلب المؤتمر النابض فقد كان مترنيخ (Metternich) مستشار نمسا.ويجمع بين هؤلاء المؤتمرين قاسم مشترك،هو العداء السافر للأفكار التحررية التي بثتها فرنسا عبر اوروبا ،فتقبلتها الشعوب وعاداها الملوك ..واستمر المؤتمر اكثر من سبعة اشهر وسط احتفالات ضخمة ومتوصلة ،أنفقت النمسا خلالها اربعين مليون فلورين (florins).ولم يعتقد الممثلون اي جلسة مشتركة لأن القضايا الهامة قد انفرد بمناقشتها ممثلو الدول الأربع المنتصرة .فوقعوا فيما بينهم اتفاقات ثنائية وجماعية .ودعوا ممثلي الدول الصغرى لتوقيعها ،تدليلا على موافقة كل اوروبا عليها.وبلغ من حنكة تاليران ان كسر طوق العزلة المفروض على فرنسا .وكاد ينجح في احلال الفرقة بين المؤتمرين ،ولو لم تصل أنباء عودة نابوليون من جزيرة ألبا وحلوله في باريس مع ربيع السنة 1815م.فتناسى الحلفاء خلافاتهم واجتمعت كلمتهم ضد فرنسا وأسفر مؤتمر فينا عن تحوير واضح في خريطة أوروبا ،ونالت كل من الدول المنتصرة نصيبها إنجلترا،روسيا،النمسا،بروسيا)والصغرى ايضا (اسبانيا،البرتغال،ايطاليا فنلندا ،المانيا، المملكة منخفضة ،سويسرا)[15].

ب- تدويل القضية الجزائرية في المؤتمر :

إنعقد المؤتمر في الاول من نوفمبر 1814م والى غاية الثامن جوان1815م [16] بعد انتهاء من نابليون في معركة واترلو (Waterloo) عام 1815م ،و كانت انجلترا آنذاك سيدة البحر الأبيض المتوسط و عندها تمكن ساسة أوربا من شرب نخب النصر وفكروا في ضرورة رسم خريطة لأوروبا [17]، فكانت المادة السادسة التي إتفقوا عليها هي أنه من أجل دعم الروابط العميقة الموحدة بينهم،فيجب على الملوك الأربعة بجمع المؤتمرات في فترات محددة يبحثون فيها الوسائل اللازمة لا لمجرد ضمان السلم و استمراره بل لتأكد الاحترام المصالح العامة الكبرى و بشكل خاص هدوء الشعوب و رفاهيتها،و لذلك فإن مسألة العلاقات مع فرنسا لن تصبح هي الموضوع الوحيد الذي يعالج في هذه الاجتماعات فيمكن لحكومات الدول المنتصرة أن تثير كل المشكلات حتى تأخذ حيالها موقفا مشتركا[18]، فكانت مسألة الجزائرية ضمن القضايا المطروحة،فقضية الجزائر و طرحها في المؤتمر بعد أن تَخلصت الجزائر من الإسبان نهائيا و تَسليم وهران عام 1791م واجهت خطرا مماثلا في أوائل القرن التاسع عشر و هي بريطانيا ففي تلك الفترة قوي نفوذ بريطانيا في البحر المتوسط بالاستيلاء على مالطة في عام 1792 م و بضم جزر الأيونيان في شرق البحر المتوسط طبقا لتسوية مؤتمر فينا عام 1815 م فأصبحت مالطة تعتمد في تموينها على ما يستورد من الجزائر و تونس من الحبوب و بعد القضاء على نابليون أرادت إنجلترا التدخل في شؤون الجزائر بإسم محاربة الرق [19] والقرصنة و الدفاع عن مصالح الدول المسيحية [20]. وهكذا قدم ممثلو فرسان مالطة بتسليم عدة مذكرات إلى المؤتمرين فينا يطالبون بالعمل على إعادة تنظيم الطائفة و بمكان غير مالطة وذلك [21]بإعادة النظام القديم و منحهم مقرا في البحر المتوسط تجتمع فيه جميع الأساطيل المسيحية لمحاربة قراصنة دول المغربية [22]. ولا يخفى علينا أن الجزائر كانت في أواخر القرن الثامن عشر تعرضت إلى تدهور و نقص في عمليات القرصنة بسبب إبرام معاهدات مع الدول

العظمى كإسبانيا و البرتغال و الولايات المتحدة الأمريكية و في بداية القرن التاسع عشر عرفت تحسنا،مستغلة الظروف الدولية المنشغلة بالحرب و قامت بتجديد أسطولها الذي وصل إلى 30 قطعة بفضل الرايس حميدو الذي جال البحار إلى غاية 1815م [23] ،لكن بتوقف هذه الحروب الطاحنة (التي شهدتها أوروبا بسبب الثورة الفرنسية و سياسة نابليون التوسعية) تحالفت تلك الدول من أجل وضع حد لنشاط الأسطول البحري الجزائري الذي كان يشكل خطرا على مصالحها التجارية في البحر المتوسط،فالواقع أن العلاقات الأمريكية الإنجليزية ،فيما يخص بلاد المغرب كان في مجموعها مُرْضِية ثم شهدت فترة توتر أدى إلى انقطاع العلاقات الأمريكية البريطانية وَوُجِدَ سُخط الجزائر على الولايات المتحدة الأمريكية حافزا رسميا و ثقة "الداي الجزائر" بقوة الأسطول البريطاني فأعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1812م،و بعد ثلاث سنوات رسى الأسطول الأمريكي في ميناء الجزائر فذكر الوزير الجزائري القنصل البريطاني في الجزائر بقوله:"لقد سبق أن أخبرتنا أن الأسطول الأمريكي سوف يطرده أسطولكم من البحار في ظرف ستة أشهر،و لكن الأمريكيين يشنون الحرب علينا مستعينين ببعض السفن الحربية التي أخذوها منكم " [24] إن سياسة نابليون التوسعية اتجاه البرتغال و نواياه العدوانية إزاء الجزائر و عِداؤه لإنجلترا سببا في تقريب وجهات نظر الأطراف المعنية و التوصل إلى الإتفاق بتوقيع معاهدة فنتينيبلو مع الوزير الإسباني في 27 أكتوبر 1807م القاضية بِقَسْمِ البرتغال بينهما و تم هجوم عليها في نوفمبر نفس السنة ففر ملك البرتغال ريودي جانيرو ودعا بريطانيا للتدخل في الحرب فلبت نداءه لحماية مصالحها في جبل طارق من الاسبان و مساعدة البرتغال،أما نابليون دعم تحالف البريطاني البرتغالي و تم عقد معاهدة تجارة و صداقة مثالية وقعها الطرفان سنة 1810م، و لمكانة بريطانيا لدى الجزائر و البرتغال خلقت جو الثقة و قبلت وساطتها بسبب تهديدات نابليون و أن "الداي حاج علي" أدرك أهمية الإتفاق لأنه خطوة نحو إضعاف نابليون و سياسته التوسعية[25]، ومن جهة البرتغال الحاجة الشديدة والمُلحة على الهدنة هي رد الحملات الإسبانية و الفرنسية ،و من جهة الجزائر لتدعم خزينتها بأرصدة مادية عن طريق تطبيق فدي الأسرى فمبالغ البرتغال مغرية و من شأنها تقوية الخزينة و هنا أعطت حركة بحرية مُضاعفة بزيادة قِطع في الأسطول و بتالي إلزام الدول بدفع الإتاوات و تسديد التزاماتها السابقة فكان عهد الداي حاج علي عهد انبعاث القوي و إنعاش ملحوظ مما أدى إلى إنزعاج إيالة تونس و إستياء الدولة العثمانية و استنكار الدول الأوروبية بشدة في مؤتمر فينا و نظرت إليه على أنه عهد التسلط و قهر و تذرعت به لتأليب الأمم و الدعوة للتحالف ضده و عرف عهده داخليا بالحزم و العزم معا و ضبط شؤون الإيالة إلى أن "إنساقت له العمالة ووقع الربح لجميع الناس" [26] نلاحظ أن هدنة 1810م و معاهدة 1813م الجزائر والبرتغال في عهد الحاج علي باشا الذي قيل عنه أنه أوقع الجزائريين في حرب مع كل الشعوب الأوروبية " [27]، و هي التي إرتاح لها البرتغال بعد أن طال إنتظاره و كثرت وساطته و تكون ربما آخر معاهدة في سلسلة المعاهدات التي وقعها حكام الجزائر في العهد القوة[28].

وتجدر الإشارة أن محمد خسرو [29] وجه رسالة تنبيهية إلى السلطان محمود الثاني (1808_1839) بتاريخ 2 جويلية 1815 يحدثه فيها عن حاكم الجزائر الداي الحاج علي (1809-1815)يقول فيها"منذ أن أصبح هذا الشخص واليا على الجزائر ،تعددت المظالم مع المسيحيين بحيث أن الصداقة مع الأوروبيين قد تحولت إلى نزاعات و هجمات" [30] ،فظاهرة القرصنة مارستها جميع الدول البحرية فأوروبا ترى قراصنتها أنهم محاربون في سبيل الوطن وأنهم جنود الله و المسيح أما نظرتهم للجزائر و نشاطها البحري بأنه نهب و لصوصية لذا يجب محاربتهم [31] لذا إتخذ الكنيسة من النشاط البحري المغربي عامة و الجزائري خاصة وسيلة الوحيدة

لجهودهم للقضاء على إسترقاق إخوانهم في الدين منذ بداية العصر الحديث عملت جمعيات مثل جمعية الإخاء الفرنسية وجمعية بالرمو حيث إستطاع أنصار هذه الجمعيات الحصول على قرار من البابا بجمع التبرعات في جميع الكنائس اعتبارا من سنة 1778م ومواصلة نشاطها الى غاية 1819، فزاد من عدد قطعها البحرية كما هو الحال في مملكة الصقليتن التي بنت ما يزيد عن خمس قطع بحرية كبيرة مزودة بحوالي أربعة و سبعين مدفعا[32]، و هذا ما جعل الدول الأوروبية تقوم بحملات بحرية متكررة على الجزائر،و قد أدى فشل السياسة الأوروبية إلى تحقيق أهدافها بشكل إنفرادي مما كان له دور الحاسم في سعيها منذ عام 1815 م إلى توحيد جهودها في جبهة واحدة ضد الجزائر [33] ، و قد سبق فكرة الاستيلاء على إيالة الجزائر قديمة أكثر من قرن من زمان و قد نضجت في رأس نابليون فنابليون أراد الوصول إلى نقطة إستراتيجية هي الوقوف في وجه انجلترا حيث قال " قدم واحد على إفريقيا من شأنه أن يعطي إقتراح لإنجلترا لتفكر جيدا في الأمر"،فأحال نابليون في 18 أفريل 1808م إلى وزارة البحرية أمرا يأمل فيه بالحملة على الجزائر عن طريق البحر بدل البر و لتحقيق من وجود منفذ يخلو من قوات متفرقة و أسند المهمة إلى مهندسين و قال أنه يجب السير عليه في حد ذاته داخل أسوار و خارجها و يكتب ملاحظاته و كان هذا الرجل زعيم البعثة فنست بوتان Vincent Yves Boutinالذي ذهب إلى الجزائر بزي المدني لسياحة ليتمكن من عبور دوريات الحدود للوصول إلى الجزائر[34]، ويذكر المهدي بوعبدلي في مجلة الأصالة أن تقرير بوتان كان نتيجة توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية و طرد الداي لقنصل فرنسا(Thainville)، ويعود السبب أن الجزائر حسنت علاقتها مع إنجلترا فغضب نابليون وكلف بوتان لوضع تصميم و هو ما إعتمد عليه الجيش الفرنسي فيما بعد لإحتلال الجزائر [35] ففكرة القضاء على الإيالات المغربية تحت سلطة فرنسا كان أحد بنود المعاهدة السرية التي عقدها نابليون و قيصر روسيا بتاريخ 8 جويلية 1807م ،و هي معاهدة الصلح تلسيت بين فرنسا و روسيا [36] و أيضا قام جيفرسون[37] بتعبئة المد الصليبي بتشكيل حلف صليبي ضد الجزائر سنة 1785م،ويعود ذلك أن جيفرصون كان يناضل منذ البداية من أجل فكرة الحرب بديلا عن دفع الضريبة، و أن الدول التي هي في حرب مع الدول المغربية أن من مصلحتها تنسيق جهودها لمحاربة القراصنة و في هذا السياق يمكن الإعتماد على البرتغال ونابلي لكي يتعاونوا مع الولايات المتحدة الأمريكية ففكرة الحرب و تشكيل عصبة لمحاربة البلدان المغربية هي قديمة ،كما صرح فرانكلين سنة 1783م معربا دهشته عن تقاعس الدول الأوروبية في تجميع قواتها للقضاء على القراصنة ،و في مارس 1785م إقترح جيفرصون إمكانية التعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية و فرنسا لشن حرب على الجزائر إذا إستحالت تجديد معاهدة معها ،و في بضعة أشهر أعلن السفير البرتغال في الجزائر لرندال عن الرغبة السائدة في تشكيل حلف من الدول التي هي في حالة حرب مع دول المغرب[38] و أول المرحبين به و أكثر حماسا الجنرال الفرنسي لافايي ت [39] La Fayette، و هنا رأى جيفرصون أن الأمل في تشكيل حلف يجد تشجيعا كافيا و يسمح بتحرير مسودة مقترحات من أجل عمليات منسقة ضد دول المغرب و بناءا على ذلك أعد خطة تشمل نقاط التالية:

1. أية دولتين أو أكثر تحارب القراصنة يمكنها أن تتفق على أن تحارب بتعاون و تنسيق ضد العدو المشترك.
2. ينبغي ترك الحلف مفتوح لكي تنضم إليه دول أخرى فيما بعد.
3. إن هدف الحلف هو تحقيق السلام الدائم للدول المتحالفة .
4. ينبغي من التجوال المستمر لسفن المتحالفة بإستمرار في عرض البحر قبالة شواطئ الإفريقية.

5. الحصة التي تساهم بها كل دولة في القوة المشتركة تكون معقولة بقدر ما تسمح به الظروف .
6. تحديد طبيعة الحصة التي يساهم بها كل عضو في الحلف بإتفاق بين الدول المتحالفة .
7. تشرف لجنة من الدول على عمليات الحربية و بدون أي مقابل .
8. في حالة حرب أي دولتين في الحلف فيجب ألا تؤثر الأعمال الحربية بما يتعلق بإجراءاتهما ضد دول المغربية.
9. العمليات الأولى تكون ضد الجزائر أولا ثم تتفرغ إلى دول الأخرى الممارسة للقرصنة .
10. أن نشاط الحلف لا يؤثر في المعاهدات القائمة بين أعضائه و الدول المغربية .

ثم قام جيفرصون بتقديمها إلى ممثلي دول الأوروبية،إلا اسبانيا أبدت رفضها لأن وقعت معاهدة مع الجزائر مؤخرا بينما البرتغال و نابلي و الصقليتين و البندقية و الدانمارك و السويد و مالطة إستقبلت المشروع بإرتياح،لكن في الأخير فشل المشروع بسبب رفض الولايات المتحدة اشتراك في الحلف بسبب عجزها مالي الذي فرضه دول الأعضاء،و أيضا بشهر أوت1814م ،دعى سيدني سميث نداءا إلى قادة أوروبا "لتنظيم حصار حول الجزائر حتى يضع حد للقرصنة الدول المغربية [40] خاصة و أن بريطانيا آنذاك صدرت قانون في عام 1814م الذي وضع حدا نهائيا لتجارة الرقيق في الممتلكات البريطانية على كونها من أعمال القرصنة[41].

ج_مذكرة سدني سميث ضد النشاط البحري لدول المغرب :

ج-1- تعريف بشخصية سدني سميث (1771-1845) :

سدني سميث:هو ابن الثاني لثري كبير و هو من مواليد وودفورد Woodford في 3جوان 1771 درس في نيوكوليج بأكسفور أنشأ جريدة إيدينبرج ريفيو Review Edinburgh سنة 1802 بالإشراك مع هنري بروجهام شارك بقلمه في هذه المجلة مدة 25سنة نشر أول كتاب له سنة 1800م و أشهر اسمه عن طريق المقالات الي كان ينشرها في مجلته. انتقل إلى لندن سنة 1803م و أصبح محاضرا في الفلسفة بالمعهد الملكي كان ضمن الجيش البريطاني الذي حارب نابليون في مصر سنة 1798م.

قدم مذكرة إلى مؤتمر فينا 31أوت1814م لدراسة الوسائل و الطرق الناجعة للقضاء على قراصنة البلدان البربارية (المغاربية). كما قدم نصيحة أخرى سنة 1830م لإنزال القوات الفرنسية بمدينة الجزائر ،و قد إعتمدت خطته و نصيحته على نتائج الحملات الأوروبية البرية و البحرية منها ضد الجزائر عبر القرون الثلاثة السابقة ،نشر هذه الخطة في الجريدة اللندنية المسماة ب The globe and traveller ترجم المقال نحو الفرنسية و صدر في جريدة Le Constitutionnel يوم 14 ماي 1830م ومما جاء في هذه المذكرة أن " إحتلال الجزائر يعد بداية لعهد جديد للحضارة العالمية إذا ما عرفنا كيف نستفيد منه.. [42] ! .

وقد ارتأينا ترجمة المذكرة الاولى من الفرنسية لعدم عثورنا على النص الاصلي بالانجليزية ،وهي طبعة خاصة نأمل أننا قد وفقنا في ترجمة هذه المذكرة .

ج -2- محتوى الوثيقة:

في الوقت الذي تناقش فيه الوسائل الكفيلة بالقضاء على النخاسة(تجارة العبيد) في الساحل الغربي لإفريقيا،و في الوقت الذي تحاول فيه أوروبا المتحضرة تعميم منافع التجارة و أمن الأشخاص و الممتلكات

داخل هذه القارة الشاسعة التي يقطنها رجال طيبون و مهرة و قادرون على التمتع إلى أقصى درجة بمزايا الحضارة من الغريب أن لا يسرى إنتباهنا الساحل الشمالي من هذه المنطقة نفسها هذا الساحل الذي يقطنه القراصنة أتراك لا يكتفون بإضطهاد سكان البلدان المجاورة لهم ،بل يختطفونهم و يشترونهم كما يشترى العبيد لإستعمالهم في السفن المجهزة للقرصنة، وإفتكاك فلاحين نزهاء من أسرهم، و سكان سالمين من السواحل الأوروبية. إن هذه اللصوصية المخزية لا تثير الإنسانية فحسب، لكنها تعرقل التجارة و تسيء لها حيث لا يستطيع اليوم أي بحري الملاحة من وقوعه رهينة في يدي القراصنة [43] واقتياده عبيدا إلى إفريقيا .

تتكون حكومة الجزائر من ضباط من الجيش الإنكشاري ،وهم عساكر ثائرون يزعمون أنهم لا يعترفون و لو ظاهريا، بسلطة الباب العالي التي مع ذلك لا تقر بهذا الإستقلال: و الداي هو دوما أحد ضباط هذه المجموعة الذي تميز بقساوته.ومن أجل البقاء على العرش أو الديوان فهو يثري نظراته أي يمكنهم من البطش في إفريقيا و القيام بأعمال القرصنة ضد الأمم الأوروبية الضعيفة أو التي لا يخشى من إنتقامها الفوري .

إن الراية العثمانية نفسها لا تكفي لحماية رعاياها الإغريق،واتقائهم شر اعتداءات القراصنة الجزائريين، و في المدة الأخيرة فإن الداي إما استسلاما منه لنزواته الشرسة،و إما انتهاجا لسياسة وحشية بهدف القضاء على تجارة منافسيه [44] في تونس وفي طرابلس، عمد إلى شنق طواقم بعض سفن الأرخبيل و مصر المحملة بالقمح و التي وقعت في قبضته ،و كان رد فعل الباشا مصر في غضبه إيقاف جميع الجزائريين الموجودين في إيالاته، مطالبا بدون جدوى بإسترجاع الحمولات التي صادرها داي الجزائر ظلما. و لا شك أن الباب العثماني ينظر باستنكار بل بإستياء إلى أن يجرؤ أحد أتباعه على القيام بأعمال مصينة و بشعة ضد رعاياه المسالمين ،و أن يعرقل حركة تجارية هو في أمس الحاجة إليها أكثر من أي وقت مضى لدفع أجور عساكر الباشا المتواجدين على الحدود الشرقية للإمبراطورية العثمانية لمحاربة الوهابيين و غيرهم من القبائل العربية التي ما فتئت تحت نفوذ هؤلاء الطائفيين تقوم بغارات تهدد وجود هذه الحكومة .

ومن جهة ثانية فإن أوروبا تهتم بدعم الحكومة العثمانية من حيث أنها سلطة معترف بها،و حكم بإسطاعته احتواء الباشوات و البايات الثائرين،و منعهم من القيام بأعمال القرصنة في البحار على غرار الجزائر. إن هذا الإهتمام من أوروبا نابع بوجه خاص من حاجة أوروبا في معظم الأحيان إلى استيراد قموح (القمح) البحر الأسود أو النيل ،و هي المناطق التي تتوفر فيها هذه المادة بكثرة،حيث أن المواسم الزراعية السيئة التي يشهدها شمال الإقليم العثماني تقابلها دوما مواسم زراعية جيدة في الجنوب في نفس السنة والعكس بالعكس .

و الحال أنه إذا كان بربري يدعى أنه أمير مستقل رغم أنه مستقل رغم أنه غير معترف به من قبل السلطان العثماني وليّه الشرعي،إذا كان يستطيع حسب هوايته أن يهدد و يرغب و يشنق الإغريق ورجال البحرية من رعايا الدول الأوربية الصغيرة التي تمارس وحدها تجارة تعتبرها سفن القوات العظمى غير مربحة بما فيه الكفاية لتحذو حذوها،لأن هذه السفن لا تستطيع أن تمارس الملاحة بهذا الثمن المنخفض. إذن إذا كان هذا الرايس القرصان الجريء يستطيع عندما يخطر له ذلك أن يوقف حمولات القمح الموجهة إلى أوربا، فإن الشعوب المتحضرة تقع من جراء ذلك تحت إدارة رئيس عصابة لصوص يمكنه دون علم من هذه البلدان أن يزيد من تعاسة هذه الشعوب بل يستطيع تجويعهم في زمن القلة .

و يتوفر البربري أيضا على وسيلة ناجعة لإختلاس أموال الأمراء المسيحيين، فهو يهددهم (و هذا ما فعل أخيرا مع صقلية) بقتل رعاياهم الذين وقعوا في قبضته [45] ، و ما يؤكد تنفيذ وعيده و خشيته المعروفة التي تصبح وسيلة للحصول على أموال أمير مسيحي لتمويل الحرب التي يشنها على أمير مسيحي آخر.

و بهذه الطريقة يستطيع أن يشرك كل بلدان أوروبا في هذه الحرب و إجبار الأمم الواحدة تلو الأخرى على دفع ضريبة وخشيتة بشراء حياة هؤلاء العبيد التعساء و السلم. و لا جدوى من التأكيد بأن هذه الوضعية ليست بشعة،لكنها غير معقولة و لا تخلو من إساءة للدين و الإنسانية و الشرف . إن تقدم النور و الحضارة لا بد أن يَدْحَرَ هذا الوحش .

و بديهي أن الوسائل العسكرية التي استخدمها لحد اليوم الأمراء المسيحيون لمواجهة عساكر الدول البربرية لم تكن غير كافية فقط لكنها أفضت في معظم الأحيان إلى زيادة دعم السلطة الخطيرة التي يمتلكها هؤلاء البرابرة،و إن أوروبا قد بقيت لمدة طويلة تعتمد على جهود فرسان القديس يوحنا القدُسي St Jean de Jérusalem ،و لم تتفطن بما فيه الكفاية إلى أن هذا النظام الفروسي لم يكن له في المدة الأخيرة لا السلطة الكافية و ربما أيضا أنه لم يبق له الطاقة الكافية لمواجهة و دفع الإعتداءات المتجددة دائما التي كان يقوم بها العديد من القراصنة .

و الواقع أنه بحكم تأسيسه أصلا ،فإن نظام مالطة المجبر على عدم التعامل مع غير المسيحيين لا يمكنه أن يستفيد من كل الإمكانيات التي توفرها السياسة بإبرام معاهدات تحالف مع الأنظمة التي تقع هي نفسها ضحية لنظام القرصنة أكثر مما مارسه مثل تونس و مراكش اللذين يحكمهما أمراء من مواليد هذين البلدين،و اللذين أبديا منذ مدة حسن استعدادهما ،و إمكانهما أن يقيما مع الدول العظمى الأوروبية علاقات تجارية و علاقات حسن الجوار.و هكذا فإن إحياء هذا النظام بعد الانتحار السياسي الذي طبقه على نفسه،لا يمكن أن يكفي وحده لتحقيق الهدف الذي نصبو إليه و أن الهدف النبيل يرمي إلى وضع أوربا نهائيا في مأمن من اعتداءات القراصنة الأفارقة ،و استبدال دول قراصنة أساسا منذ "بابا عروج "،بحكومات مفيدة للتجارة و منسجمة مع مجمل الأمم المتحضرة.

و الآن ما هي الوسائل التي يتعين استخدامها ؟

إن الممضي أسفله يريد أن تشاط اقتناعه أوروبا برمتها .و هذا الإقتناع نابع من [46] ثلاثين سنة من الدراسة و التفحص العميق، و لم ينقطع طوال مدة وظيفته في البلاط العثماني عن الإنعكاف على الموضوع الذي يعالجه اليوم .و قد عكف على هذا الموضوع في المخيمات،و على متن أساطيل هذه القوة نفسها،و في علاقاته المعروفة نسبيا مع أمم إفريقيا و آسيا و قبائلهما .

إن هذا الإقتناع الداخلي بإمكانه توقيف لصوصية البلدان البربرية بسرعة ،و ليس هناك وسيلة أحسن لإثباتها من عرضه القيام شخصيا بهذه العملية إذا ما وضع تحت تصرفه الوسائل اللازمة .

و بدافع من ذكريات دروس الوعظ التي كان يلقيها كفارس، و رغبة منه في إثارة الحمية لدى الفرسان المسيحيين الآخرين،يقترح على الأمم الأكثر اهتماما بنجاح هذه العملية النبيلة أن يتعهدوا بموجب اتفاقية بأن يقدموا فرقا عسكرية من قواتهم البحرية و البرمائية، التي دون أن تعرقل أية راية و دون أن ترتبط بالحروب

أو بالأزمات السياسية للأمم، تتولى بصورة دائمة بحراسة سواحل المتوسط و تعتني بمراقبة ،و توقيف و ملاحقة جميع القراصنة البر و البحر .إن هذه السلطة المعترف بها و المحمية من طرف كافة الدول الأوروبية لا تعيد إلى التجارة أمنها فحسب ،لكنها ستقضي إلى" تمدين" السواحل الإفريقية ،بمنع السكان من مواصلة ممارسة القرصنة على حساب صناعتهم المنتجة و تجارتهم المشروعة .

و ستبدأ هذه القوة الحامية و العتيدة بحصار مشدّد على القوات البحرية التابعة للقراصنة البرابرة حيث وجدت و بالتزامن مع ذلك ينبغي على سفراء جميع ملوك و دول المسيحية أن يساندوا بعضهم البعض بتبليغ الباب العالي العثماني بأنه لا يمكنه التملص من مسؤوليته الأعمال العدوانية التي يقوم بها رعاياه،إذا تمادى في السماح إلى دولة بتوظيف العساكر في إفريقيا ،بدون أية جدوى بينما يمكن لهذه القوات أن تستخدم ضد أعدائه بدلا من أن تستخدم ضد القوات العظمى الأوروبية أصدقائه و المطالبة من الباب العالي أن يدين رسميا بهذه الأعمال و يمنع منعاً حقيقياً الحروب التي يشنها القادة المتمردين على أوروبا .

و يمكن مثلا أن نَحُثّ الباب العالي العثماني على ترقية و محازاة الإنكشاريين و ربان السفن و غيرهم من رجال البحرية الجزائريين الذين يلبون نداء السلطان،و بهذه الطريقة سيجد الداي نفسه معزولا و بدون وسائل دفاعية. [47] ونفس هذا النفوذ يمكن أن يستخدم في تونس،لاسيما و أن هذا البلد في حرب مع الجزائر التي يخشى منها الكثير .و معلوم أن رئيس الحكومة التونسية يختلف تماماً من حيث المزاج مع الداي الجزائر:و هو على أتم الإستعداد للقيام طوعيا بكل ما يمكن أن يساهم في "تدمين" دولته و جلب الإزدهار لمملكته. و ينبغي أن يكون السلم بين تونس و ساردينيا،التي عانت كثيرا من جراء اختطاف رعاياها ،ينبغي أن يكون الحلقة الأولى من السلسلة ،و عليه لا ينبغي أن نهمل أي شيء لإقرار هذا السلم. أما التفاصيل المتبقية فيمكن أن نتناولها،بعد أن يصادق الملوك على المبدأ و يمنحوا الثقة و الإذن المطلوبين لواضع هذا النص من أجل نجاح هذه العملية .

استلم و درس و صودق عليه بباريس _سبتمبر 1814.
استلم و درس و صودق عليه بتورينو _4أكتوبر 1814.
استلم و درس و صودق عليه بفيينا - أثناء المؤتمر.
الإمضاء : سدني سميث [48]

رأى جول دي بولينياك Jules de Polignac مزايا كثيرة في مشروع سدني سمث (الذي سيصبح وزيرا لشارل العاشر و رئيسا للحكومة التي قررت الحملة 1830 على الجزائر)،باشتراك فرنسا في العمليات [49] الحربية والكفيل بأن يصرف الفرنسيون عن أحزانهم القومية و يشبع حاجتهم للنشاط العسكري و المجد، و في 19يونية 1814، قدم بولينياك مذكرة عن الحملة المقترحة ضد دول المغرب نوه فيها بأن هذا العمل الحربي المشترك سيقدم للدول متنفسا لأسلحتها و حماستها الحربية ،و إلا مَزقت الحرب أوروبا، كما أن توجيه الحرب للجزائر يقدم لفرنسا فرصة إقامة منشئات هامة.و هي كما قال الوزير الفرنسي مرحلة في طريق الفرنسيين إلى الأرض التي حتى احتلوها ثم فقدوها و لا تزال تهفوا إليها أطماعهم و هي مصر.[50]

لكن كلا المشروعين الأول مشروع فرسان القديس يوحنا و الثاني مشروع سدني سميث لم يقابلا في دوائر المؤتمر الرسمية بالاهتمام خاصة من جانب انجلترا التي اتجهت حولها الأنظار نتيجة تفوقها البحري في المتوسط و خروجها منتصرة من حروب نابليونية ،و رغبتها في تزعم العمل الأوروبي المشترك ،و هي لم تتضرر

من عمليات القرصنة و لم تقاسي ما تقاسيه سفن الدول الأخرى حتى أنها لم يكن لها أي مصلحة راهنة في قضاء على دول المغرب .ذكر لورد كاسلريه وزير خارجيتها أنذاك في مذكرة له لوزير الدنماركي: أن وجود هذه النيابات أكثر فائدة لإنجلترا و أنه حين ينشأ معها نزاع تستطيع إنجلترا تسويته بالمال أو بنيل الترضية و زاد على ذلك أن تحطيم هذه النيابات سيؤدي الى أن تقوم على الشاطئ الإفريقي حكومات موالية لفرنسا و هذا ليس من صالح بريطانيا و لا من صالح تجارتها في البحر المتوسط. [51]، وهكذا توفقت السياسة الإنجليزية و الفرنسية إزاء المغرب و انتهى بوضع و بتوقيع على النص النهائي للمعاهدة النهائية L'acte Final لمؤتمر فينا يوم 9 يونيه 1815يقضي بالعمل على إلغاء القرصنة و استرقاق المسحيين في النيابات المغربية الثلاث كما صدر قرار بإلغاء تجارة الرقيق عامة، و في أغسطس 1815 عينت الحكومة الفرنسية بيير دفال Piérre Deval قنصلا لها في الجزائر فقدم الهدايا التقليدية ووعد بتصفية ديون البكري [52].

ملحق

مذكرة سيدني سميث مقدمة للمؤتمرين في عاصمة النمساوية فينا 1814/08/31 بخصوص القضاء على القرصنة في شمال افريقيا (الجزائر –تونس –طرابلس الغرب)[53].

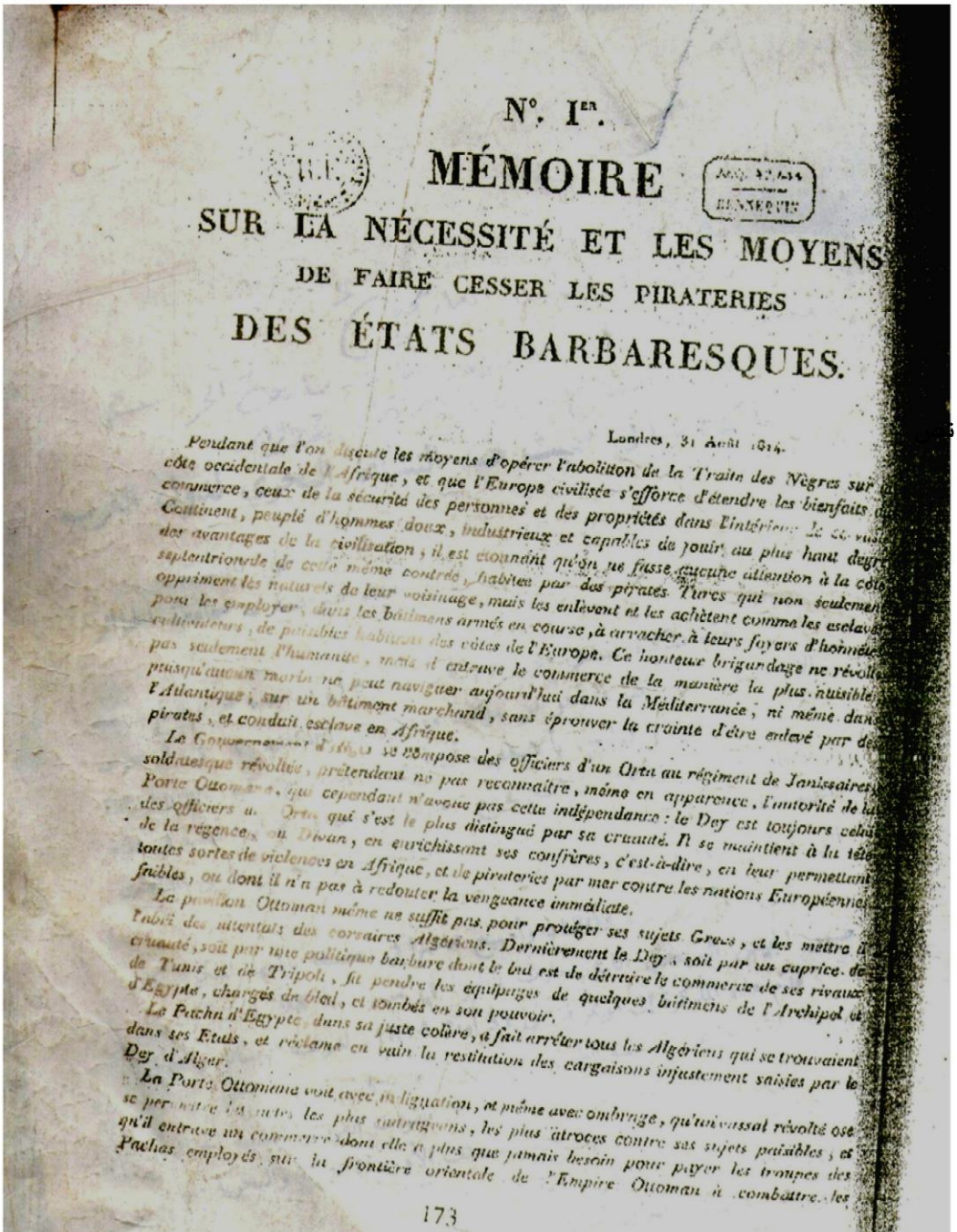

N°. Ier.

MÉMOIRE

SUR LA NÉCESSITÉ ET LES MOYENS

DE FAIRE CESSER LES PIRATERIES

DES ÉTATS BARBARESQUES.

Londres, 31 Août 1814.

Pendant que l'on discute les moyens d'opérer l'abolition de la Traite des Nègres sur la côte occidentale de l'Afrique, et que l'Europe civilisée s'efforce d'étendre les bienfaits du commerce, ceux de la sécurité des personnes et des propriétés dans l'intérieur de ce vaste Continent, peuplé d'hommes doux, industrieux et capables de jouir au plus haut degré des avantages de la civilisation, il est étonnant qu'on ne fasse aucune attention à la côte septentrionale de cette même contrée, habitée par des pirates Turcs qui non seulement opriment les naturels de leur voisinage, mais les enlèvent et les achètent comme les esclaves pour les employer, dans les bâtimens armés en course, à arracher à leurs foyers d'honnêtes cultivateurs, de paisibles habitans des côtes de l'Europe. Ce honteux brigandage ne révolte pas seulement l'humanité, mais il entrave le commerce de la manière la plus nuisible, puisqu'aucun marin ne peut naviguer aujourd'hui dans la Méditerranée, ni même dans l'Atlantique, sur un bâtiment marchand, sans éprouver la crainte d'être enlevé par des pirates, et conduit esclave en Afrique.

Le Gouvernement d'Alger se compose des officiers d'un Orta au régiment de Janissaires soldatesque révoltée, prétendent ne pas reconnaître, même en apparence, l'autorité de la Porte Ottomane, qui cependant n'avoue pas cette indépendance : le Dey est toujours celui des officiers de l'Orta qui s'est le plus distingué par sa cruauté. Il se maintient à la tête de la régence, ou Divan, en enrichissant ses confrères, c'est-à-dire, en leur permettant toutes sortes de violences en Afrique, et de pirateries par mer contre les nations Européennes faibles, ou dont il n'a pas à redouter la vengeance immédiate.

La position Ottoman même ne suffit pas pour protéger ses sujets Grecs, et les mettre à l'abri des attentats des corsaires Algériens. Dernièrement le Dey, soit par un caprice de cruauté, soit par une politique barbare dont le but est de détruire le commerce de ses rivaux de Tunis et de Tripoli, fit pendre les équipages de quelques bâtimens de l'Archipel et d'Egypte, chargés de blé, et tombés en son pouvoir.

Le Pacha d'Egypte, dans sa juste colère, a fait arrêter tous les Algériens qui se trouvaient dans ses Etats, et réclame en vain la restitution des cargaisons injustement saisies par le Dey d'Alger.

La Porte Ottomane voit avec indignation, et même avec ombrage, qu'un vassal révolté ose se permettre les actes les plus nutritueux, les plus atroces contre ses sujets paisibles, et qu'il entrave un commerce dont elle a plus que jamais besoin pour payer les troupes des Pachas employés sur la frontière orientale de l'Empire Ottoman à combattre les

173

الخاتمة:

قدم سيدني سميت مذكرة إلى مؤتمر فينا في 31 أوت1814م، لدراسة الوسائل و الطرق الناجعة للقضاء على قراصنة البلدان البربارية (المغاربية).حيث يعتبر هذا الأخير أستاذا محاضرا في الفلسفة بالمعهد الملكي بلندن و أميرال في الجيش البريطاني الذي حارب نابليون في مصر سنة1798م.

حيث قام بتقديم مذكرته للمؤتمرين خلال انعقاد أول محفل أوربي في عاصمة نمساوية فينا 1814-1815 التي تعتبر هذه مذكرة بمثابة ميثاق لوفاق أوربي أول من نوعه للقضاء على قوة إيالات العثمانية الثلاثة "الجزائر –تونس- ليبيا " و إقصائها من الساحة الدولية بصفة نهائية،وفعلا حققت ما أرادت له أن يكون وهذا ما تجسد من خلال الحملات الصليبية المتكررة على الجزائر منذ انعقاد مؤتمر فينا 1814 -1815 وإن اصح التعبير منذ تقديم مذكرته للمؤتمرين لنظر في قضايا القرصنة التي كانت تشغل بالهم في سواحل شمال افريقيا ،وكان لزاما تخلص منها.وهكذا توفقت السياسة الإنجليزية و الفرنسية إزاء المغرب و انتهى بوضع و بتوقيع على النص النهائي للمعاهدة النهائية L'acte Final لمؤتمر فينا يوم09يونيه (جوان) 1815يقضي بالعمل على إلغاء القرصنة و استرقاق المسحيين في النيابات المغربية الثلاث كما صدر قرار بإلغاء تجارة الرقيق عامة ،و في أغسطس 1815 عينت الحكومة الفرنسية بيير دفال Piérre Deval قنصلا لها في الجزائر فقدم الهدايا التقليدية ووعد بتصفية ديون البكري ،ليتم التفاهم مجددا على عقد مؤتمر اكس لاشابيل سنة 1818 م ليكون ذلك آخر مؤتمر ينهي وبشكل رسمي قوة المغاربية،وقضاء على ما يسمى عندهم بمصطلح القرصنة،وكانت بادرة الأخيرة اطلاق العنان للقوة الفرنسية بدخول أرض المغرب العربي وكانت محطتها الأولى احتلال الجزائر عام 1830 ثم دول المغرب لأخرى وبهذا اصبح المغرب العربي مستعمرة فرنسية .وفي خاتمة مقالنا نقول أن شخصية سيدي سميث هو الذي كان سببا رئيسيا في احتلال الجزائر وهذا ما نلمسه في نصيحة أخرى له للسلطات الفرنسية سنة 1830م بإنزال قواتها بمدينة الجزائر ،و قد اعتمدت خطته و نصيحته على نتائج الحملات الأوروبية البرية و البحرية منها ضد الجزائر عبر القرون الثلاثة السابقة،نشر هذه الخطة في الجريدة اللندنية المسماة ب The globe and traveller ترجم المقال نحو الفرنسية و صدر في جريدة Le Constitutionnelيوم 14 ماي 1830م ومما جاء في هذه المذكرة أن " إحتلال الجزائر يعد بداية لعهد جديد للحضارة العالمية إذا ما عرفنا كيف نستفيد منه..."

الهوامش:

1. سينين (فلورينسا) Senén Florensa، أندريو (باسولس) Andreu Bassols،الكتاب السنوي للبحر الابيض المتوسط المتوسطي، يصدره المعهد الأوربي للبحر الأبيض المتوسط دار فضاءات للنشر والتوزيع عمان، 2011، ص8.
2. يحيى بوعزيز ،علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أوروبا 1500_1830 ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،ص 09 . ينظر كذلك :شقرون (الجيلالي)،العلاقات الديبلوماسية بين إيالة الجزائر و الولايات المتحدة الأمريكية 1776- 1830،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة وهران،الجزائر ،2003، ص 3.
3. القرصنة :اسمها الحقيقي حركة الجهاد البحري مشتقة من كلمة Couraires أي تسابق البحري و إن كانت قد أخذت من معنى كلمة Piraterie وكان يخرجون لملاقاة و لإستقبال سفن الوافدين و الدفاع عنها ينظر: جلال يحيى، المغرب الكبير في العصور الحديثة و هجوم و الاستعمار، د ار النهضة العربية، بيروت، 1981،ص20 . للمزيد من التفاصيل حول موضوع القرصنة البحرية بداياتها تعريفاتها و تأثيراتها على منطقة العربية.ينظر: حسام الدين بوعيسى،القرصنة البحرية و تأثراتها على منطقة العربية ،أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية و العلاقات الدولية ،جامعة باتنة ،الجزائر،2013.
4. عبد الكريم غلاب ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي"عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر"، ج3، دار الغرب الإسلامي، ص49-50.
5. ارزقي شويتام ،دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري و السياسي "الفترة العثمانية 1519_1830"،دار الكتاب العربي ، الجزائر ،2010، ط1 ، ص 77 .
6. جلال يحيى، المغرب الكبير في العصور الحديثة وهجوم والاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت، 1981،ص 48.
7. ج. و. وولف، الجزائر و أوروبا، ترجمة: أبو القاسم سعدا لله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1986،ص 142 .
8. Belhamissi(Moulay), marine et marins d'alge(1518_1830)T1,B.N.A,1996, p45.
9. ارزقي شويتام ، المرجع السابق ،ص 78.
10. ب.ج. روجرز، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900م،ترجمة و دراسة و تعليق يونان لبيب رزق ،دار الثقافة ،المغرب، 1981،ص 78.
11. جون بول ولف،الجزائر و اوروبا (1500-1830)،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986،ص374.
12. ارزقي شويتام ،المرجع السابق، ص 81 -82.
13. ارزقي شويتام ،التنافس الدولي في البحر المتوسط خلال القرنيين 18و 19م و موقف الجزائر منه ، **حولية المؤرخ** ، العدد 3-4، الجزائر ، 2005،ص 173.
14. وليم سبنسر ،الجزائر في عهد رياس البحر ،تعريب عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر ،الجزائر، 1980،ص156

15. لبيب عبدالستار ،التاريخ المعاصر ،دار المشرق ، بيروت،1986،ط 4، ص 288-289 . للمزيد من التفاصيل انظر :

Koskenniemi (Martti) and Bo Stråth ,Europe 1815-1914 " Creating Community and Ordering the World The European Shadow of the Past and Future of the Present "University of Helsinki ,January 2014,pp 1-232.

16. Bloy (marjie),ph.d.,the congress of Vienna ,1 november 1814-8 june 1815 senior research fellow ,national university of Singapore ,last modified 30 april 2002 .http:// www .victorianweb.org/history/forpol/vienna.html.

بينما نجد حنيفي هلايلي يَذْكُر أن مؤتمر انعقد في أواخر ديسمبر 1814 الى أول يناير 1815ينظر: هلايلي (حنيفي)، العلاقات الجزائرية الأوروبية و نهاية الأيالة 1815- 1830 ،ص13_ ويذكر مصدر آخر أنه دام مؤتمر فينا من تشرين الأول 1814 حتى حزيران 1815 ،و كان غرضه إعادة تنظيم القارة الأوروبية التي قلب نابليون أوضاعها ،و عقد في مدينة فينا عاصمة النمسا نتيجة دور الذي لعبته هذه الاخيرة في حروب نابليون و ما كان لوزيرها مترنيخ من الأهمية بين رجال السياسة في ذلك العهد و قد قررت دول الكبرى الحليفة (انكلترا و روسيا و بروسيا و النمسا)أن تَحُلَ المشاكل الكبرى تحت اشرافها و أن تعرض الأمور التي يقررها سفراؤها على سائر الدول المحتلة في المؤتمر فتقبل بذلك مجبرةً .ينظر: الفرنسيسكانيات (مريم) و مكاريوس (جبور) ،عصر ماري دي لاباسيون،تنقيح مايا الحاج،تدقيق سمية قرة قلي،مراجعة ماري عوده جبور،بيروت ،2006.ص39.

17. حنيفي هلايلي،العلاقات الجزائرية الأوروبية و نهاية الإيالة 1815_1830،دار هومة، الجزائر، 2007، ط1، ص13 .

18.بيير رنوفان،تاريخ العلاقات الدولية 1815_1914،تعريب: جلال يحي ى، د ار المعرفة، القاهرة ، 1971،ط2، ص 48 .

19.ألغي الرق بموجب اتفاقية 1794 و تم ترميمه من قبل نابليون بونابرت في 1802 م ،فمؤتمر فينا قرر فيه قوى العظمى الغاء الرقيق و لكن تركت لكل دولة تحديد الوقت الأنسب لغرض هذا التدبير "تجارة الرقيق" لذا كان موضوع الذي عقدت فيه العديد من المعاهدات المبرمة من طرف دول الاوربية التي حظرت للمؤتمر ،أما فرنسا تمت الغاء الرق فعليا سنة 1848م :

lainé (Agnes), médecins africains et français a la cote d'Afrique les raisons dimenon rencontre 1815-1873, C. R. A. Chercheur assoucied , p 2.

20. ناهد إبراهيم دسوقي،دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2008 ، ط 1، ص 20 .

21.احمد عزت عبد الكريم ،دراسات في تاريخ العرب الحديث ،دار النهضة العربية ،بيروت،ص 326 .

22. le Marchand (E), l'europe et la conquête d'alger d'après des document originaux titrés des archives de l'etat , perrin et cie , paris ,1913, p 21.

23.شارل أندري جوليان،تاريخ إفريقيا الشمالية"تونس ،الجزائر ،المغرب الأقصى"من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830،المصدر السابق،ص 371 .؛ ينظر ايضا: حنيفي هلايلي ،المرجع السابق ، ص11 .

24.راي اروين،العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الولايات المتحدة 1776_1816،ترجمة: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع،الجزائر، 1978، ص 270 .

25. عبد الحميد زوزو ، «هدنة 1810م و معاهدة 1813م بين الجزائر و البرتغال » مجلة التاريخ، العدد 11، 1981، الجزائر، ص 25.

26. احمد الشريف الزهار ،مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ،الجزائر، 1980، ط2، ص 105 .

27. عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي "تونس ،الجزائر ، ليبيا "من 1816 الى 1871، (تقديم روبار منتران) ، دار التونسية للنشر ،تونس ،1972 ،ط1 ،ص 243.

28. عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830_1900)، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984، ص 26 .

29. محمد خسرو : تولى وزارة الحرب العثمانية مرتين ،الأولى من 1811الى 1817و الثانية من 1822الى 1826. ينظر: حنيفي هلايلي ، العلاقات الجزائرية الأوروبية ، المرجع السابق ، ص 14 .

30.عبد الجليل التميمي، المرجع السابق ، ص 234 .

31. pavy (Mgr),‹‹la piraterie barbareque››,in R.A,N°2,1857,p:337.

32. حنيفي هلايلي ، المرجع السابق ، ص 10 .

33. عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ،ص 21.

34. Ben achenhou (A), l'état algérien en 1830"ses institution sous l'emir Abdelkader ", ENAG édition Réghaia Alger, 2009, p 31.

35. المهدي البوعبدلي، موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور ، مجلة الأصالة،العدد 14 - 15، قسنطينة،1973، ص 137

36. Raynal (abbé G.T),histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des européens dans septntrionale,T1, p,maurus et cie , paris,1826, pp 134-135.

37. راي أروين،المصدر السابق، ص 63-77.

38.المصدر نفسه، ص76-77.

39.مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830 ،ج 2،دار الأمة ،2007 ، ط2 ، ص 87 .

40. حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية و نهاية الايالة 1815-1830، المرجع السابق، ص 12؛عبد الجليل التميمي، المرجع السابق, ص235 .

41. جلال يحيى ،تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية، 1999،ص199

42. علي تابست، «مذكرة سدني سميث ضد النشاط البحري لدول المغرب»، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7، السنة 1993، الجزائر، ص 167.

43.بعد وقت قصير من صدور النظام الأساسي للقرصنة جديد ،الذي اختلف اختلافا كبيرا عن قانون 1790 كما حدده قانون الأمم بالإضافة إلى الكونغرس الذي تناول مسألة ما إذا كان المواطن غير الولايات المتحدة (لاينتمي للولايات المتحدة الأمريكية) يمكن أن يعاقب على عملية القرصنة في أعالي البحار ضد سفينة مملوكة للأجانب مع إدراج لغة قانونية لتنفيذ "يُقدم مرتكبو هذه الإنتهاكات إن وجدت للمحاكمة داخل الولايات المتحدة، و إذا أودين بالجريمة المزعومة يعاقب بالقتل "، أتهم سيدني سميث و هو عضو في طاقم سفينة مسلحة خاصة بالقرصنة "نهب و سرق " سفينة اسبانية في أعالي البحار ،أدانت هيئة المحلفين حكم خاص أنه إذا نهب و سرق فيعاقب بناءا على قانون الصادر لعام 1819م هو المفوض للمؤتمر بممارسة السلطة الدستورية بما يخص موضوع، و عمل القرصنة سيجد علاجا عالميا لجريمة (القرصنة) وفقا لقانون دول اشتراك جميع الدول في معاقبة جميع الأشخاص سواءا المواطنين الأجانب الذي ارتكبوا

جريمة القرصنة ضد أي شخص ايا كان انتماؤه،وحتى مع الذين هم في وئام و دليل أن الجرم المفترض سيتوقف بناءا على قانون الأمم و هكذا قضت المحكمة العليا بأن أي عمل يدخل ضمن أعمال القرصنة يعاقب صاحبه على جريمة القرصنة على النحو الذي حدده قانون الذي كان ضمن سلطة الدستورية للكونغرس،و حسب تعريف دقيق بموجب قانون الدولي الذي حددته دول على ضرورة معاقبة على السطو على السفن في البحر ويدخل حيز تنفيذ إبتداءا من عام 1820" . ينظر :

chuck mason (R),legislative attorney, piracy"a legal définition",congression al research 7-5700 www.crs.grov r 41455,crs report for congress prepared for membres and committees of congress , 13 décembre 2010, pp 3,4.

44.علي تابست ،المرجع السابق،ص 168.

45.المرجع نفسه ،ص169.

46.المرجع نفسه ، ص 170.

47.المرجع نفسه ، ص 171.

48.المرجع نفسه ،ص 172.

49.احمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق،ص327 .

50.المرجع نفسه، ص 328 .

51.المرجع نفسه ، ص 328 .

52.المرجع نفسه ، ص 329 .

53.علي تابست ، المرجع السابق،173